جمهورية العراق

وزارة التعليـــــم العالي والبحث العلمي

جـــامعة ديالى

كلـــية التربية للعلوم الإنسانية

قسـم اللغة العربية

القصيدةُ النسويةُ في الشعر العراقيِّ الحديثِ بينَ الرؤيةِ الابداعيةِ والتجربةِ الذاتية (نازك الملائكة وبشرى البستاني مثلاً)

رسالة ماجستير قدّمتها

الى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة ديالى

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير

في اللغة العربية وآدابها (أدب)

الطالبة

مَيسون عدنان حسن عَلوش السعدي

بإشراف

الأستاذ الـــدكتور

علـــي متعـــب جـــاسم

١٤٣٨ هـ **٢٠١٧ م**

-المبحث الأول-

النسوية والمغيَّب في نص(نازك الملائكة) الشعري ٠

حين يكون الحديث خاصاً عن ملامح النسوية وتشكلاتها في نص المرأة، لا سيما عند الشاعرة نازك الملائكة التي طرحت أهداف النسوية، برمزية غامضة، تكاد توهم قارئها بعدم اكتراثها لما يحصل للمرأة ، وإنّما صرفت توجهاتها نحو موضوعات ذاتية ولكنْ هل من قارئٍ يسأل وهو يقرأ نصوصها الشعرية عن أسباب الحزن والقلق والخوف والتشاؤم، حتى غدا ظاهرة بارزة في شعرها، والسرّ المخفي وراء ذلك الانغلاق والاغتراب الروحي الذي شغل مساحة واسعة ؟ ولماذا كل هذا التشاؤم ؟ على الرغم من أنها كانت من النساء اللواتي يتمتعن بالموهبة والثقافة وفرصة التعليم، بوصفها من عائلة أدبية تَعنى بقضايا الأدب والفن فما الذي أحزن نازك إذن ؟ وما الذي جعلها تعاني الصراع الباطن مع الذات؟ ألا تدعونا هذه الاسئلة المحيرة للشك بأنَّ كل ذلك متأتٍ من عوامل قوية أثّرت في نفسيتها، فلا يوجد عامل أهم من شعورِ الإنسان بأنه مقيّد الحرية وأن مصيره مجهول، ومهما قدّم في الحياة فهو مهمّش ومغيّب ٠

هذا الشعور هو ما قتل معالم الأمل والتفاؤل في نفسية نازك بوصفها امرأة، فالإحساس بالقلق والتفكير الدائمين بالمستقبل التراتبي المرتبط بحياتها وما يقع عليها من مهمات، كل هذا أرهق تفكيرها، فقد أفصحت في كتابها (التجزيئية في المجتمع العربي) عن الكثير من القضايا التي تخصّ المرأة والموقف السلبي لها في جميع الجوانب إذ تقول: ((فنحن هنا ازاء حرمان تام من كل حق من حقوق الحياة وقد فقدت المرأة تدريجياً كل ما تملك حتى قيمتها الإنسانية))[1]، مما يدل على رفضها للواقع المفروض عليها الذي رسم لها حدوداً يجب أن لا تتخطاها، فقد شكّلَ شعرها

---

[1]التجزيئية في المجتمع العربي ، نازك الملائكة ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط١ ، ١٩٧٤ ، ٣٣٠

نقداً للواقع، لعدم الانسجام مع قوانينه، لكنها لم تُفصح عن قهرها ومأساتها علناً إلاّ بالرموز التي تخفّت خلفها لتعبِّر عن أزمتها النفسية؛ والسبب في ذلك يعود أولاً: بوصفها امرأة تمقت لغة الخضوع فهي ((تعالت كلياً على تعابير الاغراء واستجلاب الإعجاب أو العطف ٠٠٠ غير أن تكرار ٠٠٠ الموضوع الذي يدور حول الخيبة والحزن والهموم المتراكمة ٠٠٠ كل هذا يُشير الى ٠٠٠ أن نازكاً ٠٠٠سجينة انوثتها في هذا الشعر ولكنها لا تعترف، حتى لنفسها بهذا الاختناق والخضوع الضمني للحدود المضروبة عليها كامرأة في مجتمع محافظ))[١]؛ لهذا السبب لجأت إلى التلميح والإشارات فنصها حملَ دلالات عميقة تكمن في رثاء نازك المستمر لذاتها، فقد وظَّفت شعرها ليكون شاهداً على ذاتها المقهورة، وهذا لا يشي طبعاً إلى الضعف بقدر ما هو طريقة للتعبير عن شعورها الداخلي بالحق المستلب الذي تعرضت له المرأة في تاريخ حياتها ٠

ثانياً: يرجع سبب توظيف المرأة للرموز ((لأنها محاطة بهالة المراقبة الاجتماعية فكلّ عيون المجتمع تراقبها ،٠٠٠وهذا يفتح أمامها متاحات متعددة عن كسر المألوف ، بسبب تعدد دوائر حلقات القيود المفروضة عليها))[٢]، فلو تمثّلنا بعض مقاطع مطولتها (مأساة الحياة وأغنية للإنسان)، نجدُ قارئها يقف متسائلاً عن مقاصد الشاعرة، من وراء لفظة المأساة ،فهل أرادت فعلاً أن تتحدث عن مأساة الحياة، وما فيها من صراع ما بين ديمومتها وما يرافقها من أمل وحلم، وبين الموت وما يحمله من مصير مجهول للإنسان الذي عليه أن يستسلم ويخضع له ؟أم أن هناك شيئا مغيباً في القصيدة؟ عند قراءتنا لقصائدها الشعرية، نستشف ثمة أساليب

---

[١] المرأة وصورة المرأة في كتاب تذكاري ، نازك الملائكة ، دراسات في الشعر والشاعرة ،اعداد وتقديم واشتراك د٠ عبد الله احمد المهنا ، شركة الربيعان للنشر والتوزيع – الكويت ، ط١ ،١٩٨٥ ،د٠ سلمى الخضراء الجيوسي :٢٥٦ – ٢٥٧ ٠

[٢] نازك الملائكة بين الكتابية وتأنيث القصيدة ، د٠ عبد العظيم السلطاني ، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ٢٠١٠ : ٢٦ ٠

وقضايا معنوية حاولت الشاعرة إخفاءَها خلف عبارتها مُعبِّرة بها عن موقفها الخاص ومنها:

أولاً: المأساة الذاتية المغيَّبة في النص.

عرضت الشاعرة في المطولة بعضاً من الجوانب الإنسانية ومنها الحياة والموت، ولكن ما الذي قصدته منهما؟ نرى أن مفردتي الحياة والموت شكّلتا تضاداً وظفتهما الشاعرة لترمز بهما إلى الشعور الداخلي القائم على جدلية الأمل واليأس، فلو تأملنا الفقرة الأولى من المأساة نجد الشاعرة قد بدأت القص بافتراض ذاتين، والأمر اللافت للنظر أنها أعطت أولوية القص للذات الأخرى التي بدأت بلسان الصوت الآخر وهذا ما نلمحه من خلال قولها :

عبثاً تَحْلُمينَ شاعرتي ما ... منْ صباحٍ لليلِ هذا الوجود

عبثاً تسألين لن يُكْشف السرُّ ... ولن تَنعمي بفكِّ القيودِ

في ظلال الصَفْصاف قضَّيتِ ساعا ... تِكِ حَيْرى تُمضُّك الاسرارُ

تسألين الظلالَ والظلُّ لا يعـ ... ـلَمُ شيئاً وتعلمُ الاقدارُ

أبداً تنظرين للأُفق المجـ ... ـهول حيرى فهل تجلّى الخفيُّ؟

أبداً تسألين والقَدَرُ السا ... خرُ صمتٌ مُستْغلِقٌ أبديُّ

فيمَ لا تيأسين ؟ ما ادركَ الاسـ ... ـرارَ قلبٌ من قبلُ كي تدركيها

أسفاً يا فتاة لن تفهمي الايـ ... ـامَ فلـتقنعي بـأن تجهليها

أتركي الزورق الكليل تسيِّر ... هُ أكفُّ الأقدارِ كيف تشاءُ

ما الذي نلتِ من مصارعة المو ... جِ ؟ وهل نامَ عن مناك الشقاء؟

آهِ يامن ضاعتْ حياتك في الاحـ ... ـلامِ ماذا جَنَيْتِ غير الملالِ؟

لم يَزَلْ سرُّها دفينا فيا ضيـ عةَ عُمرٍ قضَّيتِهِ في السؤالِ [١]

يواصل الصوت الآخر حديثه الى أن ينتهي دوره في الكلام وذلك بقولها :

ليس منهم الا قبورٌ حزينا تٌ أقيمت على ضفاف الحياةِ

رحلوا عن حِمَى الوجود ولاذوا في ســكونٍ بعـــالم الاموات[٢]

تصور الشاعرة القصيدة معتمدةً تقنية الحوار الداخلي والذي نعني به ((وضعية حوارية، يتكلم فيها شخص واحد، بينما ينصت الآخر))[٣]، ولكنها هنا هل افترضت امتزاج صوتين متصارعين في داخلها؟ أحدهما مثّلته ذات مستسلمة للقدر يائسة غلبَ عليها التشاؤم، والثانية حالمة تتأمل في العثور على السعادة، و ما الذي قصدته من وراء القوة المتصارعة في داخلها؟ وهل الصراع الذي تعيشه كان فعلاً نتيجة الخوف والقلق من الموت؟ إنَّ مفردة الموت هنا تضعنا أمام الكثير من التساؤلات التي تدفعنا إلى أن نبحث عن المعنى وما يمكث وراء تلك المفردة أهو الموت بمعناه الحقيقي؟ الأمر الذي جعلها تعيش تجربة داخلية متوترة وحالة من الصراع النفسي الدائم بين الحياة والموت؟، أم هو الموت الذي جاء بمعنى الإقصاء والتغييب؟ والذي حاولت أن تُعبر عنه من خلال قضية إنسانية لما له من أثّر على نفسيتها بوصفها((امرأة متنورة تعيش في مجتمع كثير الكبت للحرية))[٤]، مما جعلها رافضة ومحتجة على واقعها وغير منسجمة معه، لكنَّها في الوقت نفسه لم تجد الحل المناسب للتحرر، مما يدفعنا إلى القول: إن الشاعرة هنا ربما أرادت من خلال هذا الحوار بين الذاتين أن ترمز بالأولى إلى ذات الشاعرة/المرأة وهي الحالمة المُسيطَر

---

[١] الأعمال الشعرية الكاملة ، نازك الملائكة ،المجلس الأعلى للثقافة، (د. ط)، ٢٠٠٢ : ١/٥٩-٦٠ .

[٢] المصدر نفسه: ١/ ٦٠ .

[٣] معجم المصطلحات الادبية المعاصرة ،عرض وتقديم وترجمة :أ٠د سعيد علوش : ٢٠٥-٢٠٦ .

[٤] كتاب تذكاري:٢٥٧ .

عليها، والثانية إلى ذات الأنا وهي المُسيطِرة التي فرضت رؤيتها ونظرتها التشاؤمية على الأخرى، وهي بذلك تضمر في هذه الحوارية بعض القضايا المتعلقة بالمرأة ووضعها التي تكمن في القوة والتسلط في مقابل الاستسلام والضعف، وما يؤكد ذلك أنها بدأت القص على لسان الذات المتشائمة/ المسيطرة، لتوضح للقارئ هيمنة هذه الذات عليها وتصويرها للذات الحالمة/ الشاعرة عبثية البحث والعثور على الحلم والأمر بتركه، فالجمل التي وردت (عبثا تحلمين، اتركي الزورق الكليل) تدل على الاستسلام المسيطر في ذات الشاعرة لأكف القدر التي تسيِّرها ،وذلك في قولها: (أتركي الزورق الكليل تسيره اكف الاقدار) فهل تقصد هنا الموت؟ وكأنه إنسان له كف يسرق أرواح من يشاء ؟ أم أنها قصدت (بأكف القدر) تلك العادات والتقاليد المتغلِّبة عليها فلم تستطع التخلص منها؟ فكثرة ورود الالفاظ التي نجدها وليدة رؤيا داخلية تأكيداً لعمق مأساتها (الليل ، والوجود ، والسر، والقيود، والصمت، والقدر، والضيق، والقبور، والسكون ٠٠٠)،كل هذه الألفاظ وظّفتها الشاعرة لرصد الواقع النفسي غير المستقر على حال، وانما هو متأرجح ما بين اليأس والأمل الذي تسعى للبحث عنه، لكن هناك ما يمنعها ويحول من غير تحقيق ما تصبو اليه ٠

نفهم من هذا أن القصيدة حملت رسالة المرأة للذات المأزومة التي تعاني فقدان الحرية، والعالم المغلق الذي تحاول التخلص منه بحثاً عن حياة جديدة، لكنها لم تستطع ؛لأن الواقع شيء وما تحلم به شيء آخر، الأمر الذي سببَ صدمة ذاتية عانت منها الشاعرة في أول مراحل شبابها، جعلتها تنظر إلى الحياة نظرة حزينة مأساوية، وبذلك نجد الشاعرة تنهي فقرتها باستسلامها لرؤية الذات الأخرى في عدم امكانية الحصول على السعادة إذ تقول:

آهِ يا ضفّة السعادة ما أنـ تِ ؟ خيالٌ أم واقعٌ مشهودُ؟

أترى قلبيَ الطعينُ سيلقا كِ أخيراً أم انتِ حلمٌ بعيدُ ؟

طالما حدّثوا فؤاديَ عن لقـ ياكِ لكن ما زلتِ حُلْمَ صبي

لم ازل اصرفُ لياليَ أبكي وأغنّي حزنَ الوجودِ الشقيِّ [1]

لقد وظّفت الشاعرة فنياً بشكلٍ عام في الفقرة الأولى من مأساة الحياة الزمن بأبعاده الثلاثة، لتعطينا إشارة الى أن حزنها الداخلي ترجع جذوره الى الزمن الماضي، فتوظيفها للأفعال الماضية المتناثرة على طول الفقرة (قضّيت، أدرك، نام ،ضاعت، جنيت ،نلت، ضاقت ،زالوا، رحلوا ٠٠٠)، تدل على أن هناك ماضياً مغيباً تعاني منه الشاعرة، على علاقة بالمأساة التي تصاحبها في الوقت الحاضر، الذي عبّرت عنه بالأفعال المضارعة الدالة على لحظة الكتابة (تحلمين، تسألين ، تنعمي، تعلمي ،يلقاك ،ازل ، ابكي ، اغني ، ٠٠٠)، مما يوحي برفض الشاعرة واحتجاجها على واقعها الوجداني، متخفّية خلف ما يسمى بأحلام اليقظة وجدلية الموت والحياة، لتعلن ضمنياً الاغتراب الروحي الذي يعتري ذاتها مشيرةً له بطريقة غير مباشرة ،معبرةً عن أحاسيسها الذاتية ورؤيتها الموحدة إزاء العالم الخارجي، من خلال عرضها لـ((مأساوية الحياة عبر الزمان في الفقرات الأولى الى نهاية الحرب العالمية الثانية ، وعبر المكان بدءا من البحث عن السعادة في قصور الأغنياء الى القصر والكوخ ،٠٠٠ تتدرج في العمر ابتداء من مأساة الأطفال وأحزان الشباب ،وآلام الشيخوخة إلى أن تقف بين يدي الله))[2]، وبذلك استطاعت الشاعرة نازك أن ترسم في ديوانها(مأساة الحياة وأغنية للإنسان) تصاعد الحالة النفسية وانكسارات الذات زمكانياً٠

[1] الأعمال الشعرية الكاملة: ١/ ٦٢-٦٣ ٠

[2] دراسة في شعر نازك الملائكة ،د. محمد عبد المنعم خاطر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، ٢٠٠٧ :٤٣ ٠

ثانياً: رفض العبودية الذهنية٠

إنَّ العبودية الذهنية تُعد من الموضوعات التي تعرضت لها المرأة بشكلٍ عام، فلو تأملنا شعر نازك الملائكة نجدها ترفض عبودية المرأة الذهنية فهي ترى ضرورة ((سقوط القيود والاغلال عن الذهن الانساني بحيث يقوى على فرض نظرة جديدة أصيلة الى الاشياء كلّها ويستطيع أن يغيّرها وفق حاجاته الروحية))[١]، فقد تحدثت عن تاريخ المرأة المحكوم بكمٍ هائلٍ من القيود تحت اسم العبودية الذهنية التي عكست أثاراً سلبية في حياتها، حتى غدت وكأنها مستعبدة اذ تقول: ((والواقع ان تاريخ العبودية الانسانية لا يشتمل على صفحة أشد سواداً من هذه الصفحة))[٢]، نجد أن مضمون هذه الفكرة قريبة من مضمون قصيدتها(في وادي العبيد) اذ تقول في إحدى مقاطع القصيدة:

لا أُريدُ العيشَ في وادي العبيدِ
بين أَمواتٍ ٠٠٠وإن لم يُدفنوا ٠٠٠
جُثَثٌ ترسَفُ في أسْرِ القُيودِ
وتماثيلُ اجتوتْها الأَعيـنُ
آدميّونَ ولكنْ كالقُـــرودِ
وضِـــبَاعٌ شَرْسـةٌ لا تُـؤمَنُ
أبداً أُسْمــعُهم عــذْبَ نـشيدي
وهـُـــمُ نومٌ عمـيقٌ مُــحْزنُ
قــلبيَ الحــُرُّ الــذي لم يَفْهموهُ

---

[١]التجزيئية في المجتمع العربي: ٤٨ ٠

[٢]المصدر نفسه :٣٣ ٠

سوف يلْقَــى في أغــانيه العَزَاءَ

لا يَظُــنّوا أَنَّهــم قد سحقوهُ

فهو مازالَ جَمَالاً ونــقَاءَ

سوف تمضي في التسابيح سِنوهُ

وهـمُ في الشرِّ فجراً ومساءَ

فـــي حَضيضٍ مــن أَذاهمْ ألفوهُ

مُظْــلمٍ لا حُسْنَ فيــه، لا ضياءَ[1]

تضعنا الشاعرة ومنذ العنوان أمام دلالتين: الأولى الوادي وهو المكان المنخفض والعميق في الارض، والثانية العبيد وهم الخدم الذين لا يمتلكون حرية الحياة، فضلاً عن الدلالة المشتركة بين لفظتي وادي – أرض منخفضة وعبيد– الطبقة الادنى في المجتمع أو قعر المجتمع ،هذه المعاني لم تخرج عن قضية الحرية والمطالبة بها، وكأن العنوان شكّل رمزاً لمّحتْ فيه الشاعرة الى موضوع عبودية المرأة، فقد حَظي هذا الموضوع على مساحة لا يمكن التغاضي عنها في منجز نازك الشعري، فقد حاربت تلك الظاهرة ورأت ((أن عبودية المرأة لا بد أن تقابلها عبودية مساوية في حياة الرجل ، مادام الرجل والمرأة يعيشان متعاونين في بيئة واحدة والحق أنه ليس معقولاً ولا منطقياً أن يعيش هذان الكائنان معاً ثم يكون أحدهما حراً تمام الحرية والآخر مستعبداً تمام الاستعباد))[2]، إذ نلمس في هذه القصيدة الثورة الذاتية للشاعرة على نظرة المجتمع للمرأة، فوادي العبيد جاء وصفاً مثّل رؤية الشاعرة للواقع الذي تعيشه معلنة رفضها العيش في هذا المكان (الوادي)، بلغة ترميزية لتعبِّر عن قهر جماعي، فالشاعرة تعلن اغترابها وشعورها بوحشة المكان حتى غدا بالنسبة لها

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة :١/ ٢٨٩ .

[2] التجزيئية في المجتمع العربي :٣٢-٣٣ .

المكان المعادي ، ويتضح ذلك من خلال تصويرها الذي نفهم منه وكأن هناك وادياً مخصصاً لجنس النساء، وبذلك نجد الشاعرة وهي تصف المكان أنه لا حياة فيه ولا فاعلية(اموات، وجثث، والقيود، والتماثيل، ونوم عميق)، فكل هذه الالفاظ شكّلت رمزاً يوحي بالجمود وانعدام الحياة والحركة التي حلّ محلها السكون عند المرأة، فالأموات والجثث والتماثيل كلها عاجزة عن الحركة بنفسها، وإنما تحتاج الى من يحرّكها، فالشاعرة تأبى الانصياع للعرف لكنها تحاول قدر الإمكان على حد قولها:((أن تكيّف نفسها للحياة في مثل هذا المحيط القاسي الذي لا يحميها وانما يعاملها في قسوة شديدة، وفي ظل هذا الضغط المستهين اضطرّت المرأة الى أن تتخلى عن فضائل الحرية جميعاً))[١]، تقابلها الفاظاً ارتبطت بالآخر الذي اتصف بالحركة والفاعلية والقوة (ضباعٌ شرسةٌ لا تُؤمَنُ)، فالضِبَاع رمز لقوة المجتمع الذي تولى أموره الذكوره ٠

يتضح في القصيدة وعي الشاعرة بالذات ،فهذا الاغراق في الحزن وسيلة اتبعتها الشاعرة، ليبقى قارئها يتساءل عن سرّ حزنها الجاثم على ذاتها، ليكشف هو بنفسه عن الافكار والمفردات المتكررة الدالة على تشاؤم الذات الذي فاق على حد قولها تشاؤم شوبنهاور[٢]، والأمر الآخر هو إسناد الفعل الى فاعل مجهول الهوية لم تحدده، إنما اكتفت بإسناده الى ضمير الواو العائد على جماعة الذكور، (لم يفهموه، ولا يظنوا، وسحقوه) لتعطينا إشارة الى من هم وراء عبودية المرأة التي وقع عليها الفعل، فالشاعرة هنا لجأت إلى اختيار لعبة الضمائر، لتبوح باستهانة المجتمع للمرأة من ناحية اللغة، فقد درست هذا الجانب في كتابها (الجزيئية في المجتمع العربي) قائلة:((وهناك جهة ثالثة نستطيع أن نستفيد منها في ادراك تفاهة المرأة في مجتمعاتنا تلك هي جهة اللغة العربية،٠٠٠فالتقديم في النحو هو دائما للمذكر على المؤنث، والتغليب يذهب في هذا مذهباً يحتّم تغليب مذكر واحد على أي عدد من

---

[١] التجزيئية في المجتمع العربي : ٤٠ ٠

[٢] الأعمال الشعرية الكاملة:١/ ٥١ ٠

الاناث ولو بلغ الملايين،والضمائر المفردة تستعمل في سخاء للتعبير عن جماعة الاناث))[1]، تواصل الشاعرة تعداد قهر المرأة من اللغة التي أُطرت على وفق مقترحات وتخطيط الآخر ٠

وأخيراً مالا نريد إغفاله، العام الذي كُتبت فيه القصيدة إذ ذيلتها بتاريخ ((١٩٤٦/٨/٨))[2]، مما يدعونا الى تفحّص حال المرأة ووضعها الثقافي خارج القصيدة ولاسيما في حقبة الاربعينات التي مثلت نقطة تحوّل في تاريخ النهضة النسوية فقد حققت المرأة العراقية دوراً فاعلاً في الحياة السياسية والاجتماعية[3]، إلى جانب الوعي بالذات الذي جعلها تعاني من الشعور الدائم بالقلق على المصير المجهول والصراع النفسي مع الزمن، الأمر الذي يحتم علينا عرض موقف الشاعرة/ المرأة من الزمن في المفصل الآتي٠

ثالثاً: موقف المرأة ورؤيتها للزمن٠

يُعد الزمن عاملاً معنوياً في حياة المرأة، فمسألة إحراز التقدُّم المطلوب في مجالات الحياة كافة قياساً بتقدم الرجل، الأمر الذي جعلها تنعى الزمن وتشعر بتأخرها عنه، فربما نسأل هنا وما علاقة الشاعرة بهذا ونحن نعلم أنها رائدة من رواد الشعر الحر؟ فقد احتلت مكانةً مهمةً في المجتمع والساحة الأدبية ٠

في الحقيقة إنَّ الشاعرة لا تقيس على نفسها فقط، وانما تسعى الى ما هو أبعد من اهداف تحاول تحقيقها من ضمنها الحرية والمساواة، التي سبّبت في تأخر المرأة عامة، والمثقفة خاصة، فمن القصائد التي كتبتها الشاعرة وعكست فيها موقفها من الزمن والحياة قصيدتها (مرَّ القطار)، اذ تصرّح الشاعرة في مقدمة ديوانها (شظايا ورماد) عن القصيدة فتقول: ((لن يعثر القارئ على شيء مثير في قصيدة (مرَّ

---

[1] التجزيئية في المجتمع العربي: ٣٤ ٠

[2] الأعمال الشعرية الكاملة:١/ ٢٩٠ ٠

[3] ينظر: المرأة العراقية عبر التاريخ ، عواطف عبد اللطيف ، الحوار المتمدن،www.m.ahewar.org ٠

القطار) إن هو توقع أن يجد فيها وصفاً للقطار أو الرحلة في القطار، فقد كان غرضي الأساسي من كتابتها أن أُعبّر عن الشعور الغامض الذي يحسهُ المسافر ليلاً بالدرجة الثالثة من القطار٠٠٠هناك منظر المسافرين الغرباء وقد جمعتهم عربة القطار صفوفاً٠٠٠والسكوت يغمر العربة، التي نام أغلبية الموجودين فيها٠٠٠))[1]، يُعد هذا التصريح عتبة مهمة لكنه في الوقت نفسه يبدو غامضاً؛ لأنها استعملت فيه اسلوب المراوغة مع القارئ؛ لأنه بالنسبة لها رقيب بالدرجة الأولى مما يثير فينا الكثير من الاسئلة والشكوك، فهل كان فعلاً وصف للشعور الغامض الذي يعتري المسافر؟ ولماذا اختارت الشاعرة زمن الليل؟ لماذا الدرجة الثالثة تحديداً؟ وما الذي قصدته بمفردتي السكون والنوم؟

في الحقيقة أن القصيدة من وجهة نظرنا جاءت لتعبّر عن أفكار حاولت الشاعرة تهريبها، فقد لجأت فنياً في قصيدتها (مرّ القطار) إلى السرد الشعري مفيدة من عناصر السرد من حدثٍ، وشخصيات، وأمكنة، وأزمنة، وآلياته من حوار ووصف، لتُفصح عن مشاعرها واحاسيسها بالوصف المتراكم، بصفته آلية من آليات السرد الذي نعني به ((إنشاء يراد به إعطاء صورة ذهنية عن مشهد أو شخص أو احساس أو زمان للقارئ أو المستمع))[2]، فذات الشاعرة تخفّت خلف قناع (الراوي العليم)الذي يعلم بما يجري من احداث، فلو تفحصنا المقطع الأول نجد فيه وصفاً عاماً للزمن/الليل الذي جرى فيه الحدث فتقول:

الليلُ ممتدٌّ السكونِ إلى المدَى

لا شيءَ يقطعُهُ سوى صوتٍ بليدْ

لحمامةٍ حَيْرى وكلبٍ ينبَحُ النجمَ البعيدْ ،

والساعةُ البلهاءُ تلتهم الغدا

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة :١/ ٤٢٥ ٠

[2] معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، مجدي وهبة ، كامل المهندس :٤٣٣ ٠

وهناك في بعضِ الجهاتْ

مرَّ القطارْ[1]

تصف الشاعرة بلسان الراوي العليم أجواء الحدث الزمانية، لتهيئ ذهن القارئ لتلقي الحدث فالزمن هو (الليل) وقد غلب عليه السكون الذي لا يقطعه سوى(صوت بليد، لحمامةٍ حيرى، وكلبٍ ينبح النجم البعيد، والساعة البلهاء)، اذ نلمح في هذا الجو المشحون بالكآبة والرعب، ما لا يمكن أن يكون وصفاً لزمن رحلة المسافرين في القطار، فلو تأملنا القصيدة لوجدناه وصفاً داخلياً للصراع الذي عانت منه ذات الشاعرة ٠

فالعنوان (مرَّ القطار) يحمل دلالتين: الأولى أنَّه يُشكِّل رمزاً لرحلة عمر الشاعرة التي تمضي وتسير من غير استطاعتها تغيير مجريات حياتها لأنها امرأة، والثانية رمزت بالقطار للزمن الذي تعاملت معه بطريقة لافتة، وتسلطه القهري عليها الذي يعمّق إحساسها بالضياع، فيتحول بذلك القطار الى فضاء زماني مفتوح على سنين الماضي والحاضر مشحوناً بمفردات الضياع والاستلاب، فضلاً عن اشارتها بسرعة عجلات الزمن وطوله بالرمز الدال على الحركة المحسوسة / القطار ٠

أما (الليل) فهو رمز للذات الكئيبة الحزينة التي يُخيّم عليها الصمت والسكون، وهي الفاظ ليست بجديدة وانما تكررت في أغلب قصائد الشاعرة، فقد صوّرت الحالة الشعورية وكأن هناك قوتين متصارعتين الأولى: الصوت الخافت الذي استعارت له صوت الحمامة، إذ رمزت بالحمامة للسلام كما هو متعارف عليه عند الشعراء، ثم أن هذا الصوت الرخيم يَغلبُ عليه الضعف، والخضوع، والاستسلام، وعدم الاستقرار ٠

أما الآخر: الصوت الثائر والقوي، الذي استعارت له (نباح الكلب)، وقد مثّل الصوت العالي الذي طالبَ بالحرية والسعى للارتقاء، هذا الصوت كما تراه الشاعرة

[1] الأعمال الشعرية الكاملة:١/ ٤٤٣ ٠

((يفرض موقفاً جديداً ينفع المجتمع ويدفع بالحياة الانسانية الى آفاق أعلى وأرحب))[1]، هذا المشهد يذكّرنا بالمشهد الأول في مطولة (مأساة الحياة) التي صوّرت فيها الحالة الشعورية بإسلوب رمزي غامض يعكس بشدة وصراحة ما تعانيه، ويقرر شدة إحساسها بثلاثية الواقع، والزمن، والذات الانثى ٠

أما بالنسبة لمسافري الدرجة الثالثة الذين عمدت الشاعرة إلى ذكرهم من دون غيرهم، فهل هم أنفسهم الذين رمزت لهم بالعبيد في قصيدتها(في وادي العبيد)، لتشير الى وضع المرأة؟ وكأنها تعيش في طبقة أدنى من الرجل مما جعلها مواطنة كهؤلاء الذين يجلسون في الدرجة الثالثة من القطار، وبذلك نجد تصريحها قد أخذ دلالات ضاربة بالعمق، اكتفت الشاعرة أن تُشير إلى ذلك وبطريقة غير مباشرة أو مراوغة ٠

وبعد ان تنتهي الشاعرة من المقطع الأول تلجأ إلى مقطع آخر طويل يتشابك فيه السرد إذ تلجأ لوصف حالتها الشعورية وموقفها من الزمن / القطار فتقول:

عجلاتُهُ غزلتْ رجاءً بتُّ أنتظرُ النهارْ

من أجلِهِ : مرَّ القطارْ

وخبا بعيداً في السكونْ

خلفَ التلالِ النائياتْ[2]

فهي تصف الزمن قطاراً يسير بعجلاته بسرعة من غير استطاعتها اللحاق به، وفي ذلك إشارة الى تأخر المرأة بشكل عام؛ وذلك لأنها عندما قررت المشاركة في بناء المجتمع وجدته قد اكتمل وأُطر من قِبل الرجل، في حين هي بقيت تنتظر لحظة تحررها، فعبارة (بتُّ أنتظرُ النهارْ) إشارة الى بريق الأمل والانفراج الذي تحلم

---

[1] التجزيئية في المجتمع العربي : ٤٨ ٠

[2] الأعمال الشعرية الكاملة:١/ ٤٤٣ ٠

به الشاعرة لتواصل الحياة، ولكنه سرعان ما ينطفئ في داخلها، فيتغلب عليه الصمت والسكون مختفياً (خلف التلال النائيات) وكأنه أصبح بعيد المنال، مما يعكس عمق الشعور الذاتي بشبح الزمن وتحولاته٠

وربما تشير بالتلال إلى التابوهات والمحرمات التي تواجهها، ولم تستطع تخطيها حتى اختفى حلمها خلف هذا الكم الهائل من الممنوعات، مما جعل الذات في حالة معاناة وهذا ما صرّحت به الشاعرة في أن المرأة ((ليس لها من الحرية ان تتخطى بها الا قشورها ومظاهرها))[١]، وبذلك تُنهي المقطع بخيبة تسيطر على ذاتها ومشاعرها وهو ما نلمسه جليّاً في قولها:

لم يبقَ في نفسي سوى رجْعٍ وَهُونْ

وأنا أحدّقُ في النجومِ الحالماتْ

أتخيلُ العرباتِ والصفَّ الطويلْ

من ساهرينَ ومتعبينْ[٢]

فلم يبق في داخلها شيءٌ سوى رجع وهون والتحديق في النجوم /رمز للرقي من غير الوصول اليها٠

وفي نهاية المقطع تهيء الشاعرة ذهن القارئ لتلقي مقطعاً آخر وصفت فيه ثقل الزمن في دواخل المرأة عامة وليست الشاعرة فقط فتقول:

أتخيلُ الليلَ الثقيلْ

في أعينٍ سئمتْ وجوهَ الراكبينْ

في ضوءِ مصباحِ القطارِ الباهتِ

---

[١] التجزيئية في المجتمع العربي : ٤٨ ٠

[٢]الأعمال الشعرية الكاملة:١/ ٤٤٣ ٠

سَئمتْ مراقبةَ الظلامِ الصامتِ

أتصوّرُ الضجَرَ المريرْ

في أنفس ملّت وأتعبها الصفيرْ

هي والحقائبُ في انتظارْ

هي والحقائبُ تحت أكداسِ الغبارْ

تغفو دقائقَ ثم يوقظُها القطارْ

ويُطِلُّ بعضُ الراكبينْ

متثائباً ، نعسانَ ، في كسلٍ يحدّق في القِفارْ

ويعودُ ينظُرُ في وجوهِ الآخرينْ

في أوجهِ الغُرَباء يجمعُهم قطارْ

ويكادُ يغفو ثم يسمَعُ في شُرُودْ

صوتاً يغمغمُ في بُرُودْ

((هذي العقاربُ لا تسيرُ!

كم مرَّ من هذا المساء؟ متى الوصولْ؟))

وتدقُّ ساعتُهُ ثلاثاً في ذُهُول

وهنا يقاطعُهُ الصفيرْ

ويلوحُ مصباحُ الخفيرْ

ويلوحُ ضوءُ محطةٍ عبرَ المساءْ

اذ ذاكَ يتئدُ القطارُ المُجْهَدُ[1]

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة:١/ ٤٤٣-٤٤٤ .

فهي تصف الحالة الشعورية نفسها التي تمر بها كل امرأة؛ لأن الحكم واحد يسير ويُطبق على جميع النساء، لكنها لم تفصح عنه بطريقة مباشرة، انما اشارت للمرأة بلفظة (الراكبين، وبعض الراكبين)، وهي لجماعة الذكور فلم تقل على سبيل المثال(الراكبات) لجماعة الاناث فهذا التوظيف الإيهامي مقصود؛ لكي لا يستطيع القارئ أن يعطي دلالة قاطعة، وانما تبقى القصيدة بشكلٍ عام مفتوحاً على فضاء التأويل الواعي في إنتاج أكثر من دلالة يمكن أن يتصورها القارئ في ذهنه ٠

وما نلحظه ايضاً تكرار (الصمت ، والمصباح الباهت ، والضجر المرير ، والتعب ، والملل) فكلها تفضي الى تصوير الحالة التي قصدتها الشاعرة في المقاطع السابقة للحياة الرتيبة التي تمارسها ٠

وفي مقطع آخر نلمح بروز شخصية جديدة وهي(الفتى) فتقول:

٠٠٠ وفتىً هنالكَ في انطواءْ

يأبَى الرقادَ ولم يزلْ يتنهدُ

سهرانَ يرتقبُ النجومْ

في مقلتيه برودةٌ خطَّ الوجومْ

أطرافَهَا ٠٠ في وجهِهِ لونٌ غريبْ

ألقتْ عليه حرارةُ الأحلام آثارَ احمرارْ

شَفَتاهُ في شبِه افترارْ

٠٠٠٠٠٠

عيناهُ في شِبْهِ انطباقْ

وكأنّها تخشَى فرارَ أشعةٍ خلف الجفونْ

.....

هذا الفتى الضَجِرُ الحزينْ

عبثاً يحاول أن يَرَى في الآخرينْ

شيئاً سوى اللُّغْزِ القديمْ

والقصّةِ الكبرى التي سئَم الوجودْ

أبطالهَا وفصولها ومضَى يراقبُ في برودْ

تَكْرارَها البالي السقيمْ

هذا الفتى ....[1]

إذ لجأت الشاعرة إلى استحضار شخصية (الفتى) الذي يأبى الرقاد دلالة على أن الفتى ثائر على أمرٍ معينٍ مما يجعلنا نسأل من هو الفتى الذي قصدته في المقطع الشعري؟ ولماذا عَمَدت الى وصف حالته وصفاً دقيقاً ؟فهو في حالة حزن دائم، و(في انطواء، ويأبى الرقاد، ولم يزل يتنهد ، وسهران ، وفي مقلتيه برود، وفي وجهه لون غريب، وشفتاه في شبه انطباق)، قد تحمل لفظة الفتى أكثر من دلالة منها حلم الذات الذي وصفته بالفتى وفي ذلك إشارة إلى قوة الرغبة التي تحملها الشاعرة وحيويتها من أجل الوصول إلى مبتغاها، مما جعلها تلجأ الى تشخيصه ومنحه الصفات الإنسانية لتعكس لقارئها وصفاً داخلياً لحالتها الشعورية، لكن يبدو أن هذا الوصف المفصّل للفتى يدفعنا للتفتيش عن أمرٍ آخر خلف اختيار الشاعرة لهذه الشخصية والاهتمام في وصفها بدقة، وقبل توضيح ذلك يتوجب علينا معرفة أن لفظة (الفتى) تُطلق على الإنسان في ((أول شبابه بين المراهقة والرجولة))[2]، ولو

---

[1] الأعمال الشعرية الكاملة:١/ ٤٤٤- ٤٤٥ .

[2] معجم الوسيط:٦٧٣ .

Abstract

The study of women's legal and what is produced by women in literature, especially poetry, it required to search in self-experience of the poet , firstly Women, and secondly her creative vision in writing her experience , for the purpose of detecting her internal worlds.

The study was reported many visions and critical issues imposed by the nature of the subject as it focused on the study of self-experience which required briefing the outer circumstance of the text and at the same time the analysis of text structure and the interpretation of it connotations.

Above - mentioned, the study divided into an introduction , preface, three chapters , conclusion and a list of sources and references . The preface entitled (self-experience and creative vision in the perspective of literature).

The first chapter entitled (Feminist and ideal interval), it included two sections, the first one devoted the accomplishment poetry of Nazik Al-Malaika under the title (Feminism and the nonappearance in the poetic text of Nazik Al-Malaika), while the second section has been allocated for the accomplishment poetry of Bushrah Al-Bastani under the title (women speeches and ideal interval in Bushrah Al-Bastani poetry).

The second chapter, entitled (Feminist loyalty among text thresholds and symbols of women) , it included two sections: the first one for the poet Nazik Al-Malaika under the title (Feminism and symbols of women in the text thresholds for Nazik Al-Malaika), while, the second section was for the poet Bushrah Al-Bastani under the title (Feminism and symbols of women in the text thresholds for Bushrah Al-Bastani).

The third chapter entitled (Feminist between event space and women memory) which included two sections: the first under the title (The representations of feminism and its effectiveness in the event to Nazik Al-Malaika) and the second

section entitled (feminist dialectical, event effects and the reality of women to Bushrah Al-Bastani).

Finally, the study ended with aconclusion included a set of results and a list of sources and references, which varied between old and modern, for the purpose of scientific rigor and objectivity.

I would like to extend my sincerest thanks , appreciation and gratitude to the great heart which includes all his students without discrimination my supervisor **Dr. Ali Muta'ab Jassim**, who was so kindly act through standing by me during the writing period , choosing the topic , supplying the most important sources, opening the doors of his home and his library for students candidates tirelessly or fatigue, retracing the footsteps of the study step by step. He never be a stingy in outpouring generosity , value, guidance and advice.

The Researcher